ولا يحسن معاملته إلا بوجود حسن الظن به ويحمله بعد البلية ووفاؤه منه ومنه علمه به
وعنده يجزيه قلبه معه إلا أنه وإن كان طريقا يخرج إلى الله عز وجل فإن الخوف أقرب منه وما
قرب جعلا أعلى كما قال العلماء العوالي طريقان إلى الله عز وجل إلا أن الخوف والبلاء وفي عندي
أقرب منهما وأعلى والله غالب على أمره

شرح مقام الخوف ووصف الخائفين

وهو الخامس من مقامات اليقين قال الله عز وجل ثناؤه وصرفنا أنباؤه وما يعقلها
إلا العالمون فرفع العلم على العقل وجعل مقاما بينه وقال سبحانه إنما يخشى الله من
عباده العلماء فجعل الخشية مقام أهل العلم حقيقة بها والخشية حال من مقامات الخوف
والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهي وصية الله للأولين
والآخرين بين هاتين المعنيين قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون وقوله سبحانه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم
أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن مداره عليها والتقوى سبب إضافة الله تعالى
إليه فنسب إليه وعنى وصله به وأكرم عباده عليه تعظيما له وقال في هدي المتقين
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم
وفي الخبر إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع
أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى
يومكم هذا فأنصتوا إلي اليوم فإنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت
نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم
وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون
قال فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلوا الجنة بغير حساب
والخوف حال من مقامات العلم وقد جمع الله تعالى للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو
الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهذه جمل مقامات أهل الجنان فقال تعالى هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي خبر موسى صلى الله عليه وسلم وأما
الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه فأفردهم بالرفيق فشاركهم بها
كما حققهم البون بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة لأنهم مع الأنبياء في
الرفيق من قبل أنهم ورثة الأنبياء لأنهم العلماء قال تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين ثم قال في اجتماع منازلهم وحسن أولئك رفيقا يكون رفيقا بمعنى
رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كلهم واحد فقد يكون رفيقا مقاما في الجنة من

علو عليين

علو عليين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته وقد خير بين البقاء في الدنيا
وبين القدوم على الله فقال أسأل الرفيق الأعلى ثم جاء في خبر موسى صلى الله عليه وسلم
فأولئك لهم الرفيق الأعلى فدل أنهم مع الأنبياء إذ حسبهم النبي صلى الله عليه وسلم لنزاهة ورعهم
وشرف مقامهم فوق كل مقام للطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فالخوف اسم جامع
لحقيقة الإيمان وهو علم لوجود الإيمان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أدب وليس
يحرق شهوات النفوس ويزيل آفاتها إلا مقام الخوف وقال أبو محمد سهل كمال الإيمان
بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال مرة العلم كسب الإيمان والخوف كسب المعرفة وقال أيضا
البعيد(?) المولى(?) لا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف قلبه وقال خوف النار
عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن خوفهم
على قدر قربه فخوف الإسلام اعتقاد العزة والجبروت لله تعالى وتسليم القدرة والسطوة
له والتصديق بما أخبر به من عذابه ولما توعده من عقابه وقال الفضيل بن عياض إذا
قيل لك تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك وصف
من يخاف وشكى واعظ إلى بعض الحكماء فقال لا ترى موعظتي تعمل في الناس
فقال وكيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله تعالى مخافة وقد قال سبحانه في
تصريف قوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى فجعل التذكرة للخاشي وجعل
من عدم الخوف شقيا لوجه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم
بالعقل وخوف خصوص الموقنين عن مشاهدة ما أريد من الصفات المخوفة وقد جاء في
الخوف الخبر إذا دخل العبد في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله عز وجل إلا مثل له
يرعبه إلى يوم القيامة وأول خوف اليقين الموصوف الذي من نعت الموقنين من
المؤمنين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة لله في كل حين والورع عن الإقدام
على الشبهات من كل شيء من المعلوم بغير تعيين حلها ومن الأعمال بغير فقه بها وفي خبر
موسى عليه السلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشته
عما في يديه إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع حال من الخوف ثم
كف الجوارح عن الشبهات ودخول الحلال من كل شيء فخشوع قلب ووجود إخبات وقال
علي عليه السلام من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع
عن المحرمات ثم يبقى اللسان وحزن الكلام أن لا يتكلم بخارج من ذكر الله عز وجل ولا في العلم ما لم
يبين عما الله تعالى في كتابه ولم يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في سننه ولم يتكلم
به الأئمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودا في الكتاب والسنة وتبيينه والحجة
في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يفعل ما يسر له بعد علمه من المسابلة عنه ولا يدخل
فيه لرفيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ يحبه فيداخل فيه وأن ينصح نفسه لله تعالى لأنها
أولى الخلق ثم ينصح الخلق في الله ويشير بما النصح في أمر الدين والآخرة ثم يعقبه في

Copyright © King Saud University